شيركو بيكەس

الكرسي

(نص مفتوح)

الترجمة عن الكوردية: سامي داوود

خالو
حقاً، اشتغلت على النص بمسؤولية
لاأرى من داعٍ، في ذكر إسمي ضمن المراجعة، فأتذكر المدققين في وزارة التربية.
ماأشرت عليه بخط: إما أن الكلمة كانت مكتوبة خطأً طباعياً، أو لم أفهم معناها، أو أنها تحتاج إلى إستبدال.
حرام أن يطبع هذا الكتاب، في السليمانية، طباعة رديئة وتوزيع أردأ، ولامن يقرأ.
حذف الشروحات أهم من وجودها، ليكن القارىء في غموض النص، أفضل من شرح معنى إسم، أو مكان، أو..... رأيي حذف كل النجمات *
أعجبتني الترجمة خالو، حراااااااام طباعة هذا الكتاب في جهة لاتقرأ الكتاب.
سأضم القصيدة إلى أعمال خالو شيركو

الكرسي
(نص مفتوح. الشعر، القص، النثر، المسرح)

أنا كاتب هذا النص،
عتيق في المدينة،
مجنون كالريح،
حافٍ
رثٌ
حائرُ.

آتي وأغدو
حيناً أستحيل شعراً ثملاً
وحيناً، في خلوة صوفية،
أمسي قصة حدباء،
أوخطيئة هائمة،
نثر على منازل السهوب
مسرحٌ للجثالةِ*.

وحدتي، عقعق نحيل،
بعنقه المعِط،
في مقهى صغير رطب،
فوق كرسي منهك الوحدةِ،
منطوٍ في خريفه،
يوماً إثر يوم،
يتخبط، يقتعد
يضع يد ألمه على حنك الذكرى
يدخن الضباب
سيجارة تلو أخرى.

يشرع الكرسي بالحديث،
ويدوِّن دخاني بلسان رماده
على الباب والجدار،
على الأرض،
أو على جسد عابرٍ ما.

كل ما سأقوله، هو
كرسي هرم قصير،
ضامر الكتفين،
محبوب بجبينه العريض
وذراعيه النحيلتين،
شاحب القسمات،
أجردُ،
لكنه، لازال فاطنا، ربما فطِناً
صحته حديد، ومفاصله سليمة..!.
كرسيٌّ حالمٌ مرتبك،
بعض المنافض ملآى بالرماد،
حزينٌ
آن يصفن،
كأنه غيمة صغيرة معذبة في "سيوان"*.
دكنة تحيط عينيه،
إن أصغيتَ لصدره،
أحسستَ صوت روحه،
يختضُّ في جسده،
أبداً..
كأنما النار تأرجحه.

هو ذا الكرسي الحائر،
منذ سنوات يستوطن المقهى الصغير؛
خياله دخان ورماد
تناسل من أزيز سماورَ أُجَاجٍ،
في سدى نفس منهكة،
في سويداء العمر.

سليل شجرة جوز نقشبندية،
ذات شهرة في "هورامان"*،
جده الكبير
كان حفار خشبٍ
بارعٌ كالمطرِ،
هادىء كعريشة،
يتلمس النسيم وجهها.

يُحكى أنَّ

ذاك الجد النقاش
أهدى من جسده
لعرس سيد "الأردلانين"
وزوجته السيدة "ماه شرف"
رقعة شطرنج بني
غليوناً طويلاً،
ومعها بضعة أمشاط فاخرة لـ "سرداد"،
كحلاً ومروحة ناعمة
لقمره "ماه شرف".

يُحكى أنَّ
حين تموت شجرة الجوز هذه
وتترك حيواتها الأولى،
لاالشجر ولاالورود تبقى،
لا عصا المايسترو
ولا النحات حفار الخشب
ولا صفحة ألوان الفنان
تبقى.
كلها من الجذور
كما هورامان
بوثيٍ
كظموا بكاءهم ...!!

يُحكى أنَّ
إذ تمضي للآخرة
تصير
فوق بطيحة بين معمورتين
عاموداً فقرياً
لجسر كبير؛
غير أنه
هكذا هي لعبة الزمان
والآن جيل في هذا المقهى الصغير
لا يعرفه أحد.

في رأسه
يتبرعم الوجع مسماراً
كعمر اليأس
تهن رموش انقباضاته
لا يبرح الكرسي.
أحياناً يغير مكانه،
من هذه الزاوية إلى تلك الزاوية،
من هذه الجهة إلى الجهة الأخرى.
لكنه، أبداً..

لايروح للشارع
لايمضي للسوق
فقط، يجول بعينيه المكان.
ولعمره المديد،
يسع الجميعَ حضنُه.

حسير البصر في الظل
دبق الجلد
شاحب.
في الشمس
نديٌّ ككأس شاي ذهبي باسم.
تأخذه البهجة
كلما اقتعد الشعر عليه.

في الثلج القارس
لا قفازات لديه
لا جوارب لديه
فراش وحيد
يحفظه من وخزات البرد.

لايتذمر أويتطلَّب،
لا يغضب أويثرثر،
فقط أمر واحد
ينغص على قلبه.

ههنا..
لاتعرفنه النساء
ولايأتينَّ لاحتضانه يوماً؛
لاصديقات لديه بين النساء.

في الليل..
يبقى وحده مع بضعة كراس حوله،
وأريكة عثمانية تعتمر طربوشاً،
وكرسيٍّ فراريّ؟؟؟
من أهالي "سنندج"*
غير شكله.
تتهامس فيما بينها عن
سيرة ماضٍ عميق
من جذور أجدادهم
من أوراق العشق
وأحزان الخريف
من قدِّ أجسادها.

كل ليلة
واحدة تلو الآخرى
تقرأ الجرائد والمجلات التي تركت عليها،
إنه كرسي أثيل،
مذ صار في المدينة
تعرَّف على آلاف الأشخاص،
كم من معضلة مرت عليه،
ومن فتنة؟.
دكاكينَ وبيوتٍ
أعاصيرِ الزمن
حَمْلٍ ووَضْعٍ
كم كربٍ وطرد وقذف
رأى؟.

في ليلة شتاء لكاثية صامتة
سرد الكرسي بحزن:
لاأتذكر أيامي الغضة
ولا رضاعتي
أما منبتي
فربما سيد عشيرة
أو موجة دفء في نهر جدتي البعيدة
أو في الأصل
تكون حفنة تراب.

في تجويف حجرٍ
أول شخص في تاريخي.

لكن في صبابتي،
ثمت إثنتان من الذكريات، كأضغاث أحلام
ظلّتا في عمق مرايا خيالي
أبداً في البال.
خالو هذا المقطع لم أفهم منه جيدا، كلمة ذكرى كانت مكتوبة بالصينية خالو. وقد صغت المقطع حسبما فهمتُ.

لمرات عدة في الأسبوع
ريح جواء شريدة،
بزعيقها وشعرها الأشعث
ريح وضيعة،
إذ تفرُّ من دخان سيجار حطاب
غير جسورة على الظهور قربه،
مع ذلك
تعوَّدتْ في كل مرة أن تمسكني من عنقي
كانت تطويني، بحيث

لا يصطدم رأسي بالأرض،
لم تدعني وشأني
ريح، ستبقى في البال أبداً،
ذعر وجفاء تلك الريح الوضيعة.

لكن فراشة سوداء داكنة
بلقاء..
نامعة
كانت في كل صباح تسبق الندى في قدومها
بخفة تحطُّ على كتفي
دون أن تحس بها براعمي
ـ صباح الخير
ـ صباح الخير
ما أخبار الحقل؟ أخبار البستان؟،
ما أخبار الماء والغابة؟.
كانت تسأل
وتقول في كل مرة:
ـ طالما العصْف نائم
والفأس مفقود
فالحال بخير.

إحدى المرات،
عندما أتت
كانت مضطربة
من إعيائها.
علق جناحها بشراشيبي.
للمرة الأولى التي أسمع فيها أنين فراشة
للمرة الأولى أجد فيها فراشة مهتاجة.
قلت: ماالذي جرى..؟
قالت: في بلاد العجاج
في عراء رملي مغبر
في ذاك البعد
جِمال شرهة
عقال على رؤوسها،
وآلاف العواصف
إلتقتْ.
وضعوا في عنق كل غديرة
عقد على هيئة "بسم الله"
بعدها كانوا يقطعونها.
للأسف، تلك كانت آخر مرة
أرى فيها الفراشة
و لم أعرف ما حصل لها.

لم أجد السعادة في طفولتي،
لا في الماء
لا في الهواء
ولا في الضوء،
كأنني غصن تائه
لاأعلم كيف كبرت،
وعندما أورق رونق يفاعتي
أمام شباك ورقة
يخضِّل الندى شعرها،
تبادلتُ النظرات مع فتاة،
فتاة تفاحة
جارتها فتاة كرز
هيفاء بضة
بنهديها المتكورين
وفي "سوخمة"* الحمراء
وقرطيها الأخضرين المنسدلين
حتى عنقها وفرائصها.
أو فتاة دراق متغنجة
للتو زغبَ حنكها.
أو فتاة مشمش
بكتفها المحروقة في الشمس.

مدّاك أصبحت حيَّاً لبدر العاشقين
زقاق مغلق لقبلة تائهة
ظلٌّ يتبربس ثملاً
خلف قبلة أو اضطجاع.
حينها كنت ذا خصر صلب
ورغبتي متوهجة
في حفيف أوراقي الرطبة،
كأنما القعيث لآلاف السنين
في أوراقي
كنت مرآة لقهقهة نهر أو ساقية
أستدرج أنثايَ لـ "تلان"*
في غضف الليل
كانت أصابعن أيدينا وأقدامنا،
كانت عيوننا تتقد
ونستحيل شموعاً.

كم قمرية، كم يمامة،
صارت هدهداتها ذكرى
معلقة في قلبي؟.
كم كوكباً سياراً
كتبت بحروف الزقزقة

شعراً على أوراقي وبراعمي؟.
في النزهة
كنت أبسط جناحيَّ بهدوء
لدبكة بنات المدينة
حتى يزددن تأرجحاً
ودفئاً.
كنت أعجل اهتزازهنَّ
لتحلق فتنتهنَّ إلى الأعالي.

لاأذكر متى سرد والدي:
كنتَ لازلتَ في قماط الورق،
جرف السيل والدتك
أتيتُ بشجرة تين مرضعة
وأرضعتك
كي تحيا.
قال والدي:
لديك من شجرة التين تلك
أخَّ في الرضاعة
للأسف أحدهما
قتلته طائرة في "جاسنه"*
والآخر توجه نحو "هانه كرمله"
عقد قرانه على فتاة شجرة جوز
إن لم تخذلني الذاكرة
"أحمد مختار" هو الإبن البكر لتلك السيدة.

حكى والدي:
بعد وفات السيدة "عنبر"،
في عزّ اخضرار أوراقي وغَدقي
صدف في الصيف
أن تفيأ "مولوي" تحت ظلي
حزيناً.... حزيناً
ما إن جلس على حجر قرب بابي،
حتى شرع بالكتابة
سقط الدلف على أوراقه
بعدها
ترقرقت عيون أوراقي وجوزي
وأجهشتْ بالبكاء.

نحن الأشجار والغابة
الطبيعة إلهنا الأول
النجار إلهنا الثاني
الأول يهيئنا للثاني
والثاني

من الشجر، يضع في الخشب روح أخرى
والخشب يصير ألف شيء.

قال أبي على لسان جدي:
قد توجد هناك أشجار،
لدى النجار الإله
يستخلص منها عشرين نموذجاً
لكن الروح لا تكون إلا في جزئها الأول
أما البقية منها، محض جماد
حتى إن تحولت إلى أي شيء.

في كل مرة، كان أبي يقول:
عندما قصَّ لي والدي هذا الحديث
كان قد صار عماداً في جامع
زوجته الثانية صارت وَضْمَ جزار،
وعمتي صبورة معلقة في السنة الإبتدائية الأولى
في "تويله"*
وعمي رفا في دكان
وضِعَ عليه ثمار جسده من الجوز،
وخالي شباك غرفة مشرقة
وتلك أختي الصغيرة، قتلها الجدري
والآن أصبحت مرقاقاً ناعماً.
وذاك جارنا الأيمن
حين اقترن بزوجته الرابعة
مات عن ثمانين عاماً،
الآن، صار عارضاً فوق مرحاض
وذاك جارنا الأيسر
كان جناناً
والآن لوحاً يسيج به الرياض
أصدقاء أبي:
أحدهم صار صندوق حُلى، وثياب امرأة فاتنة
والآخر، كان متحاذقا وثرثاراً
الآن، صار عماداً أمام مطحنة.
أحد معارفنا القدامى
كان طويلاً جداً،
محباً للخير
رأيته ذاك اليوم
بين زقاقين في "حلبجة"،
عامودا سراج.

من أحفاد شجرة الجوز
كان لي إبنا عمٍّ، ثملين
صارا الآن صفحتا باب حانة

وسط المدينة
في الأساس، كان بيننا عاشق مجنون
دائماً، كان كلسان الميزان
يتمشى بلا هوادة
رأيته ذاك اليوم في الحديقة
خشباً في أرجوحة عاشقين متيمين.

ما يصيره مصيرك،
مصيرك، ما يصنعونه منك؟.

أتذكر مرة
نورساً، توجه إليَّ صدفة
ببنطال وشعر أصفر
صحفي شاطىءٌ
كان ينوي عمل ريبورتاجاً عن حياتيَّ الشجر
يرسله إلى جريدة اسمها "عيون المحيط"
كلما رأى شجرة، سألها:
ـ بعد حياتك هذه، ستبعثين لإلهك النجار،
ماذا تحبين أن تكونينه؟
قالت إحداها: أريد أن أكون معرض كتب
والأخرى: خزانة لغرفة فتاة
الأخرى: خزانة أوانٍ
الأخرى: طاولة في مرقص
الأخرى: سرير زوجين
وواحدة أخرى: أحب أن أكون زورقاً بجانب شجرة جوز،
لازالت تضمد جراحاً في أصابعها اليمنى.
تدخل على حين غرة : لأنني وهذا خليلان جداً
أحب أن أكون مجذافاً لزورقه.

شجرة بثمانية فروع: أحب أن أكون سلماً، بثماني درجات.
قالت شجرة ملساء: أحب أن أكون محلاجاً.
ثمان أو تسع شجرات، قالت معاً:
نحب جميعاً أن نكون خشبة مسرح.
شجرة دحدوحة: أمنيتي أن يجعلونني
طبلية.
شجر هزيل: أحب أن أكون مسنداً.

الغريب، أنه بعد عدة سنوات،
ذاك الذي (الضمير على من يعود خالو؟ إن كانت الشجرة، فيجب التأنيث) كانت أمنيته أن يكون معرضاً للكتب،
صار خزانة أوان،
والذي أراد أن يكون سرير زوجين
لسوء حظه صار خشب غسل الموتى،

والذي حلمه أن يكون زورقاً
صار محفة في جامع،
والذي أمنيته أن يكون مجذافاً
جعلوه مشنقة.
كنت آخر شخصا في ذاك الصف
حين وصل عندي النورس الصحفي الأجنبي
وجدني بشوشاً مبتسماً
جلبت له بعض جوزي الطازج
مردداً الكثير من الشعر الرومانسي.
حلق عالياً وحط بين غصنين،
سألني عشرات الأسئلة
لازلت أتذكرها
السؤال الأول: ماالذي تتمنى أن تكونه؟.
ج: طاولة في غرفة شاعر.
س: ألديك حبيبة..؟
ج: أنظر، إنها فتاة رمان ذاك الطرف.
لكن، توت العليق والدها، ووالدتها وأخوتها
سدوا سبيلي،
بسياج شوكهم.
ذات ليلة، كادت أصابعي تلمسها
فجأة ظهر والدها الشوك
وانغرز في قدمي.
س: حسناً. وهي ماالذي تحب أن تكونه؟.
ج: تحب، إن أصبحت طاولة الشاعر، أن تكون هي الكرسي.
س: في أي مكان؟ أية قرية؟ أية مدينة؟
ج: في الحقيقة... السليمانية.
س: وإن لم تصبح طاولة لأي شاعر؟
ج: ستكون خيبتي كبيرة، لكن ليس في اليد حيلة.
س: حسناً، ما رأيكم بكراسي البلاستيك.
ج: في الحقيقة، لاأصل أو فصل لها، لا أحد يعلم منبتها،
هي دون روح.
س: الآن، ماالموسيقى التي تسمعها؟ صوت من تحب؟
ج: الأموج وقبقبة الحجل. وبين حين وآخر أصغي للبلابل.
س: تحب شعر من؟
ج: البدر آن يسطر شعره فوق الثلج.
س: أتحب كل شجرات الجوز؟
ج: كلا، أبداً. يوجد بيننا من هم شرهون جدا للظلم.
يريدون أن يستولوا على الهواء والماء
وطيور السماء،
كما ترى، فهم يستولون على أراض كثيرة.
ساقية تلو أخرى
يلتهمون حتى المسيل
ولا يرتوون

يتفاخرون بامتلاك الجوز الوفير
وبينهم من لديه ثلاث نساء
إنهم الأكثر جبنا
تعاقدوا والحطابون
يرسلونهم لقتل شجرات الجوز الفقيرة
ذكرة الفأس هم.
أشرار لا يعرفون التسامح
لا يسمعون لأية شجرة أو نبقة
لا يسمعون أحد.
س: إن كنت قد سمعتَ أوعلمتَ،
ماالذي تريده أشجار الجوز القاسيات أن تكونَ في المستقبل؟
ج: كما سمعت، أغلبها تريد أن تكون باباً وشباكاً
وكرسياً وخزانة ثياب الباشا
وقصر الباشا،
أوديكور القلاع،
خشباً لعرش السلاطين والملوك
لأسِرتهم وبواخرهم
أثاثاً لغرفة الملكة،
أن تكون الصولجان.
س: حسناً. كم مرة في السنة تأتيكم جيوش العصف؟
ج: في السنة كم مرة نبتلى بالنزاع؟
شتاء السنة الماضية. منتصف الليل
انقضت علينا رياح قارسة.
دافعنا ببسالة. لكن أضرارنا كانت كثيرة.
س: كيف كانت هذه الأضرار؟.
ج: قتل ما يقارب الإثني عشر منا
مات ما يقارب الستة.
كانوا صغارا.
بينهم ثلاث فتيات والكثير من الجرحى.
س: حسناً. ما عدا آفة العواصف، ألديكم عدو آخر؟
ج: نعم.. نعم. أولها النار ومن ثم الحطابون،
وكذلك أولئك البشر الذين يتركون مخلفاتهم حولنا.
ربيع السنة الماضية، أقام أحد الأحزاب حفلاً كبيراً هنا.
ابتدأ رئيسهم بخطابه قائلاً:
هذه الأرض جنة العالم.
هنا مهد الحضارة والمدنية.
قال: الوطن نور العين.
الغريب أنهم حين غادروا،
تركوا للجنة القذارة
والوطن مزبلة.
س: سؤالنا الأخير. أي حياة تحب؟ أهذه التي في الطبيعة؟
أم تلك التي عند إلهك النجار..؟
ولماذا..؟

ج: في الحقيقة. حياتي في الطبيعة.
هنا إخضرار، وهناك بلا لون
ونصطبغ.
هنا رطب، وهناك يبْس
لكن هنا بقدم واحدة، و لا نبرح المكان
هناك، إن كنت محظوظاً، لدينا أقدام عدة
نتحرك، ونرى العالم أكثر.

ذكرياتي مذ كنت شجراً
لا تتخيلوها رقصاً في ضوء قمر فضي،
وماء متلَّج،
محتضناً في اخضرار فتاة،
أو في قبلة برتقالية
ليلة تأوهات حمراء للرمان.

أنا بلا أحلام الإنسان
يقينا أصير جوز جفيف.
بدون حب وأصابع الأطفال
بدون حب المرأة
وضفائرها المتماوجة،
أبداً ما استطعتُ أن أحيا.

تلك الأصابع
كانت لي أغصاناً وأوراقاً أخرى.
تلك الأجزاء
كانت لي براعم وعُلاقات أخرى.

مذ كنت شجراً
أيام الثورة في الجبل،
إن سمعتَ يوماً
أن طفلاً صُدم في المعمورةِ
كانت براعمي تتكسر
وتتقصف أوراقي.
إن علمت
أن امرأة أحرقت
قرباناً،
كانت ركبتاي تنكسران
وتخر هامتي
ويتغلغل النخر أملي.

ذاك الزمن الذي قتل
السياحة، الرحلات والرقص
التنزه والمزمار

والـ "ره ش بلك"*
ذاك الزمن الذي
اختفى صياح ومنديل الدبكة فيه،
آنئذ، إمتلك الخواء روحنا،
وفقدنا أمل المأوى؛
حينها، لأول مرة
أدركتُ وحدتي وغربتي.

حينما كنتُ شجراً
جاءت أيام حبلى بالجراد
سملوا عيون الجوز.
جاءت أيام حبلى بالدخان
جَشمَت علينا التنفس في الغابة الشاسعة
جاءت أيام
جثم فيها الضباب علينا
وكأنما محال أن يبرحنا
وفي ليالٍ
كنتُ حتى الصباح
أحصي أوراقي الميتة.
من وجلهم، كانوا ينسلون لحضن بعضهم البعض.

أمام أعيننا قتلوا الماء.
أمام أعيننا
نصبوا للهواء والضوء مشنقة.
أمام أعيننا
تهادت أشجار هرمة
حتى جواء
تحت سفح الجبل.
أمام أعيننا
مثّلوا ببنات الصفصاف،
أطالوا ظمأ الكرم، حتى مات
ماالذي لم يفعلوه!؟.

عبرت عصريَ الشجري،
تفتقتُ يوماً
جزوني إرباً،
سحلت ببغل إلى "حلبجة"
ومضيت إلى إلهي النجار،
جعلوني كرسياً.

الأريكة: فقط المنشار الأول مؤلم، ثم يغدو الأمر سهلاً بحكم العادة.
ـ ماذا بعد أن إصبحت كرسياً؟

الكرسي السنندجي: حظي أسوأ
لكني كنت أصغي له بعمق،
فالتهشم ومصدر الآلام أمر واحد.
الأريك : هذه الليلة له، لازال لدينا ليال كثيرة.
الكرسي السنندجي: أحب أن تخصصوا لي ليلة غدٍ. لعلها تكون
ملحمة الفردوسي بآلامها الطويلة، أو تكون أنفاسي.

"نحن ملل الكراسي، على لسان الخشب نسرد الشجر
على لسان الشجر نسرد الماء
ونعود بالزمن
إلى تقويم الدخول في الجحيم
على لسان الخشب نسرد المدينة
نسرد الإنسان
من رماد السنين.
تخضر القماعيل وتتفتح الأزاهير
نسرد الرياح حتى بدء هبوبها.
تبتعث تلك الأسئلة التي قتلت
سراً وعلنا.
يسرد الماضي بترو
ليذروَ القديم
أو يسهر ناحباً على الجثث
لعله يُعلّم أولئك الذين في أحلامه
الآن، والقادم
ليجدوا الأجمل الأجدد.

نحن ـ قوم الكراسي ـ
عمرنا أطول من عمر إلهنا النجار،
لا نريد أن يحرقوا كل الرؤى
والتجارب والذكريات
التي نكتنزها،
لذا قررنا
أن يسرد كل ليلة
واحد منا حكاية قدره الشجري
قدره الكرسي لكم.

الكرسي الآخر: لا تقطعوا حديثه
الكرسي: أتيت إلى هنا مرتين.
كم بقيتَ؟، وماذا حدث؟، وكيف قبضوا علي في المرة الأولى؟
أحتفظ بها للأخير.
قبل أن يجدوني للمرة الثانية، كنت مؤجراً
لدلالٍ في السوق
حينها كنت فتياً
رغباتي متأججة ملتهبة.

لمرات عدة..
كنت كرسي عروس.
تلك الأيام
كانت الملائكة تقتعد في حضني
كانت النجوم والقمر
تستند علي،
كنت أشعر بأن أخشابي
ستخضر.
كانت تهن عيوني
وأرى أجمل الأحلام.
كنت أعود عِذقَ شجرة الجوز،
لا تعلم ماالذي يحدث لك
إن بركتِ العروسُ عليك..؟
يدها على يدك فخذها على فخذك.
وساقها ملتصقاً بساقك؛
لاأحد، إلا وذاب بالكامل،
جذلًا يحلق مع العروس نحو الغُسم،
في قبة السماء
ياإلهي
من تلك اللذة والقشعريرة
وارتهاك المفاصل
مشتعلاً من رأسي حتى قدمي،
أبداً، لن أنسى إحدى العروسات
عندما جلست
وفي الأسفل
حكت ساقي الأيمن بكاحلها البض.
حينما أرادت أن تنهض،
بإصبع خدش رفيع
أمسكتُ ثوبها بقوة
فجلست مجبرة
لم أتركها إلى أن
ارتويت منها.

أتذكر جيداً
عيد نوروز
أخذوني إلى تل "مامه ياره"*
و"بيرمرد"* بنفسه وضعني في الصف
الشامات التي على مفاصلي.... أترونها؟
أثار أصابعه
لكن نوروز آخر.
عندما صعدت للأعلى
استغربت من رؤية كراس غريبة

أثرياء ومتعجرفون
بعضهم يعتمر برنيطة
أصابني الهلع ذاك النوروز
ارتهشت ركبي
ضاقت أنفاسي
وتيبس حلقي
تطقطقت مفاصلي.
كان "بيكه س" جالساً علي
ثقيلاً جداً.
تعرق جسدي
كان حسناً، آن رطبتني نسائم باردة من "كويزه"*
تنسمني كأيام الغابة
لهنيهة انتعشتُ،
غادرتني النسمة
فجأة نهض "بيكه س"
استنشقتْ مفاصلي الصعداء
خطى "بيكه س" خطوتين نحو الصف الأول
خطوتين لذاك الطرف
تلظت قامته وتفحمت أصابعه
باتجاه المستر "أدمونس"*
قرأ " سبعة وعشرين عاماً"
اهتاج صوته كطوفان
كلماته مشعلاً.

لاحظتُ المستر أدمونس كسلحفاة
أدخل عنقه في الصَّدَفة
بهَتَ لونُه
واختفى صوته
ذعرتُ كثيراً
قلت: لأنني كنتُ كرسيه
سيأتي إلى بالفأس والشرطة
يخلعون يديَّ
يقدون أقدامي.

لكن مرَّ كل شيء بسلام
أودج أدمونس كقط
أصدر مواءً
ترجل من على التل
لم يحدث شيء
بعد بره، آن نهضوا
ركلني بقوة كرسي أدومنس
مقهوراً
سقطتُ على فمي.

انكسرت قواضمي.
بات التل خالياً
إلا من الكراسي
والنار متقدة
تلك اللحظة..
وصل لـ "ويلدروا"*
ريح أحمر الشعرلـ "يارا"
على كتفيها نسر كأنه الثلج
جناحاها منبسطتان، عيناها برَّاقتان
لفَّتْ حول "يارا"،
توهجتِ النارُ،
بروية هبطوا للأسفل
أحكم الريح شعرها حولي
حملتني من الأرض
جلس النسر علي وقبلني
قائلاً: لا تغتم، ستأتي بعدي عاصفة
تأخذ كرسي أدمونس
تخطفه لجبال "حمرين".
لا تغتم
كراس ككرسي أدمونس لا تحيا،
الشعر الأشوس
وكرسي بيكه س
هما خالدان.

لا تقولوا لـ "بيكه س: إنه الربيع
لا يريد أن يرى الجمال أسيراً
لا تقولوا لـ "بيكه س" إن الورود جاءت
لا تقولوا النرجس يضحك.
لا يريد أبداً
الورد في غرفة ضرير
ولا النرجس بلا سماء.
يحب أن يرى
رقصة الورود
والحرية
وقلبه في الأفق نفسه.

يقول بيكه س: "إن لم يأتوا بهذا الشكل،
فلن يأتوا أبداً".

"بيكه س" أنت زمهرير جسدٍ
يتوجع صدأ وسُمَّاً،
لكن، في روحك ربيع
أحلى من فردوس الله،

نبصر بعيون الضوء
ذاك الربيع
نشمه بأنف الطفولة
نسمعه بأذن الأنبياء.
هاهم أطفالنا والفراشات
يشبكون أذرعتهم في ذراع الحب،
يمضون نحو الغد،
من رأسهم حتى أقدامهم.
تتقطر طلائع الفجر.

"بيكه س"....
أنت مرآة ذاك الحب المعلق
على جدران البيوت
كل يوم، ينظر الناس عبرك إلى
مستقبلهم
ويتجددون دائماً
كسهل قبَّله المطر.
الناس... الناس،
هم أعشاب مرابع نثرنا،
جدول شعرنا
لحنٌ لجناح أغانينا المحلقة.
بدونهم
ينهدم الشعر، وتقفرُّ الكتب
الفن كفيف، والعالم أصم.

ضوء يمدُ عنقه من رداء جليدي،
وحب يصير ضوء شمعة قصير،
في سجف الليل
يتسكع في الشوارع
يقول الناس:
ذاك ضوء شمعة "بيكه س"،
بهذا الشكل
كل عام يزورنا.

هكذا..
جاء يوم، وراح يوم
جاء كرسي وراح كرسي.

هذه المرة..
كنتُ لزمن طويل
في شرفة زجاجية
مقيداً داخل بيت
الشرفة زرقاء.

وأنا أبيض
ربُّ البيت
رجل يرتدي "كواو سلته"*
دحدوح، متسامح، لطيف
لكنه عبدٌ للقمار.

كان لهذه العائلة إبنُ يعزف التار
كان يعزف التار علي
فيستحيل بخاراً
شعاعاً
حماماً
مطراً عليَّ.
كان عاشقا لسيدة لوزية ناعمة
لا تعلم، أيهما أكثر نعومة؟
الماء أم السيدة،
السيدة أم الماء؟
لم تكن تعلم، أيهما أكثر ارتباكاً،
الفتى أم أوتار التار؟
أيهما أظرف؟
الفتاة أم ابتسامة ورد الرمان،
لم تكن تعلم، أيهما كل ليلة
ينوِّم الآخر،
الشجرة أمام الشباك
أم الفتى..؟

لم تمض ليلة في الشرفة أوعليَّ
إلا وجثالة شِعر
خريف فرشات
قعيث لحن
اخضلت أعينهم.
لم تمض ليلة إلا وتسلق عنق العاشق
بريقٌ، ومضةٌ
لونٌ تائه.

كلما لمس التار بيده
حلق اللحن عالياً
فيصبح العاشق طيراً
والطير نوراً.
كلما ارتعد التار
وجنّت الأوتار
إنسابتْ أجنحة الإشراق
عليه.
على قمم الشروق.

كلما عزف الفراق
إستحالتْ سحاب تائه
وانهمر علينا.
كلما عزف الوصال
رأيته منبسطاً
كسماء شاسعة
تتساقط فيها ندف الثلج.

يوماً، زار العاشق ضيفاً
دخل الشرفة والأكورديون على صدره؛
ضيف طيب الرائحة،
تفوح رائحة عنق العذراء منه،
وصليب المسيح
رائحة الآس لبيت "كريم ألك"
رائحة "أبونا".*
شاب قصير القامة، في عنقه قلادة صليب.
إلى حينها لم أكن قد رأيت ضيفاً محبوبا لدى العاشق
كهذا الموسيقار.
أقول قبَّله مئة قبلة، فزادوا عليه،
أصغيت لأعرف اسم الفتى
صار هاجساً لدي.
بعد دقائق..
وضع الأكورديون في حضني
صارت فرصة لأهمس للأكورديون قائلاً:
عذراً، ما اسم صاحبك؟
ما أن قلت ذلك، حتى استشاط الأكورديون غضباً
أصدر صريراً طويلاً.
ومن ثم قال: أنت كرسي مغفل.
لا تفهم شيئاً
أيعقل أنه يوجد في هذه المدينة، من لا يعرف
من هو "وليم يوحنا"!.

قال العاشق:
إن أردتُ رؤية الله
فإنني أراه بسرعة
لكن حين يجعلني احتراقي
بخاراً على الـ "التار"
فقط آناء
يغرق في روحي تأملي.
فقط حين يتهشم
ليل التوجع
في حيرة أصابعي
في تفتتي

أرى اكتمال
وتجدد العشق.

***

يقول العاشق:
إن أردت أن أجلب إلى أعماقي
أمواج المحيط أو الخرير
والعواصف...
أجلبها.
لكن حينها
تنكمش وحدتي عليَّ
فلا تتسع إلا للحسرة
ويتضخم صمتي

***

يقول العاشق:
في تراب ديجور
أزرع ضوءاً لا يراه أحدٌ سوى الله وأنا.
أحياناً، عندما يتركني الله وحيداً
فأغدو بلا أحد
حينها بنفس منقبضة
أواسي نفسي.

***

يقول العاشق:
إن لم نكن نحن
لما كان الوجع وطناً
ماكانت الغربة عنوان الحياة
ولا القلق شاعراً.

***

يقول العاشق:
ذات ليلة سألتني الوحدة:
ما هو العشق؟
قلت: عندما تصبحين فراشة
حول اللظى
عندما تحضن الفراشة النار،
والنار تستحيل رماداً
قلت: حينها يأخذ الريح الرماد
للعدم
والعدم حين يصبح على الله
حلماً.

***

أنا العاشق
لا بد أن أندف
بأصابع أنفاسي
قطن هذا الزمن.

لتحلق الكلمات
وتستحيل العبارات ريشاً
للرياح التائهة، المشردة
التي لا بيت له
ولامعجم.

أنا حلاج آلامي اللكاثية.
في صوتي تحفظ الغربة جسدها.
في عيني شعاع القرابين.
في خيط شعري
عشبة حنين للوطن.

***

هكذا إلى يومٍ
جاء الجوع إلى البيت
القروض أتت للشرفة
وشرع الخبز بالبكاء.
يئس الماء
احتضنت القناديل بعضها البعض.
وخلد التار للنوم علي.
سيد المنزل، تمنى عبثاً.
باع جزافاً أثاث بيته،
حمل نفسه وتشرد مع عائلته
وحده العاشق وتاره
خرجا بحزن.
ومن حينها بات الكرسي بلا مأوى
الكرسي بخياله المهشم
كسراب سارد.

كنتُ بلاعمل، لعدة أسابيعَ،
متلبد الشَّعر
كنت أنام باستمرار في زاوية مخزن.
إلى أن جاء يوم
واشترتني فرقة "بيشرو"
وقبَلتني عضوا بينها.
في عدة مسرحيات
رأيت دور الكومبار.
في الحقيقة لن أنسى أبداً
تلك الأدوار التي
رأيتها بصحبة "عثمان جيوار"*

***

(على خشبة المسرح. منتصف الليل. غرفة ـ كرسي
وطاولة خشبية. باتجاه الجمهور).
الكرسي: تأخر الوقت، لكني سأنتظر

بعد قليل سيعود جيوار.
ثملاً بالنبيذ والهموم
يمسك بجناحي، ويبعدني عن الطاولة قليلاً.
في الواقع، لا أنسجم مع هذه الطاولة
كأنني عبدها. علي أن أتبعها أينما ذهبتْ.
على كل حال، عندما جلس جيوار علي.
حينها كتب آخر مشهد للمسرحية.
(يأتي جيوار إلى الغرفة. مدندناً بكلمات أغنية حزينة،
يمسك الكرسي ويبعده قليلاً عن الطاولة. بضع ثوان من صمت وتأمل).
يقول:
جيوار: الأفضل أن أنهي آخر مشهد في المسرحية
بهذه الطريقة:
- روناك: وصلت
إلى طريق مسدودة. ما من حل. علي
أن أترك جحيم هذا المنزل وهذا الزوج القاسي.
(تحت حزمة ضوء. تخرج روناك وزوجها نوزاد، روناك منتصبة بغضب. متوجهة نحو نوزاد):
خلاص. خلاص. من الآن فصاعداً سأضع
مايعتبره الناس عيباً في سلة المهملات.
ذاك الذي يُقال له بالهدوء.
وإن نقطع الحبل، فلن أربطه أبداً*
(تحريف دلالي للمثل كردي: "إن انقطع الحبل، اربطه وامض" للدلالة على عدم الإكتراث بحال الأمور) أرى ليس من داع للشروحات.
أنا من الآن حرة.
من الآن فصاعداً
لن أسكت على سياطك واضطهادك لي.
خلاص. سأترك لكَ البيت،
لكني أنا التي ستطلقك. أفهمت؟
أنا سأطلقك.
خلاص... خلاص... خلاص.
(نوزاد هو أيضا غاضب. لكنه جالس):
انظروا... انظروا، كم بلا حياء.
أهكذا؟ إلى أين خانم؟ إلى أين؟
روناك: أنت بالذات مصدر اللاحياء.
نعم هكذا وأكثر.
نعم سأذهب. إلى بيت أختي نرمين
في الجبل. في قرية "هلدن".
نوزاد: هم لا يجدون ما يأكلونه....
(روناك مقاطعة حديثه): لا يهم. فلأمت من الجوع
لكن أكون حرة... حرة.
نوزاد: امرأة وجبل وقصف الطائرات؟!
روناك: نع . امرأة وجب . وليس هذا فحسب
بل امرأة والثورة..
وهذا آخر كلام لدي.

(تحمل روناك حقيبتها الصغيرة المحضر مسبقا. وكما شخصية "نورا" في
مسرحية "هنريك إبسن": غرفة الدمى الزجاجية، تخرج بلا توديع وتصفق الباب خلفها أقوى من
حركة نورا).

المشهد الثاني في المسرحية الأخرى
(خشبة المسرح فارغة. جيوار غائب، الكرسي وحيد. الوقتُ النهار).
الكرسي: كان يجب أن يكون جيوار موجوداً الآن .
يجلس علي ويكتب دور "كاييف" من مسرحية
تشيخوف "بستان الكرز"
لا أعلم!.
لم يسبق له أن تأخر قط.
(يخرج طيف تشيخوف بهدوء يقترب للأمام):
طيف تشخيوف: لا تنتظر.
الكرسي: لماذا؟
طيف تشيخوف: لن يجلس عليك مرة أخرى. أبداً؟
الكرسي: لماذا؟ ماالذي ارتكبته؟
طيف تشيخوف: كلا، أنت لم تفعل شيئاً، لكن جيوار
لن يأتي أبداً، لأنه قبل لحظات
وصلتْ روحه اللكاثية عندي
في بستان كرزي.
(ظلمة.. يسدل الستار).

(يتابع الكرسي سرده):
هكذا
أتت مسرحية وراحت مسرحية
جاء كرسي وراح كرسي
وأنا هكذا مشردٌ.
الكرسي السنندجي: الأريكية العثمانية العجوز نائمة ... أترون؟
الكرسي الآخر: إنها تحلم بأن تعود مرة أخرى
إلى اسطنبول.
الكرسي الآخر: في الواقع، الجو بارد. اليوم سكب علي
ذاك النادل الضال سطل ماء،
أشعر بأنني سأصاب بالزكام.
على أية حال، رجاءاً اصمتوا،
حتى يكمل حكايته.
الكرسي: شكراً... شكراً.

نعم، هكذا مشردا ومعدماً،
أجيراً في هذا العمل لذاك،
من يدٍ لأخرى
لحظي المنحوس
كنتُ لمدة سنة، عند بائع خضروات
يضع علي صناديق الكوسا والباذنجان والبندورة والباميا.

لشدة بخله
لم يكن يعطيني حتى الفاكهة النتنة.

تلك الفترة..
رأيت أياد كثيرة تتطاول على صدري
أياد مشعرة وأخرى ذوات تجاعيد
أياد ملساء بضة
وأخرى سوداء
أياد خيرة وأخرى جشعة
أصابع بعضها ملأى بالخواتم
وأرساغها بالأساور.
صورة إحدى الأيادي
لا تفارقني أبدا
وعشرات المرات
وضعت على أصابعي وعلى كتفي
يد السيدة "فاطمة" الناعمة
في قصيدة "هردي"*
تشرد إثر تشرد
هذه المرة في مقهى "سر جيمن"
في دكان "علي فوتاو" العتيق
أصبحت كرسي ضيافة
كنا كرسيين فقط
أنا وكرسيي آخر للسيد علي.
علي فوتاو الورد
كانت حتى الحجارة والأشجار تحبه مثلنا
لم يمض على وصولي يومين
نزع أسمالي العتيقة
ألبسني ثياب خضراء جديدة
ومسجني بيديه
هناك، عرفت العديد من الطيبين
مساءات عدة
كان رجل يقتعد علي
كم كنت أحب مكوثه
لم يأت مرة إلا وحدثنا عن أشعار "نالي" و"محوي"
أو أشعار "مولوي" أو"حمدي".
لم يأت مرة إلا وصدح بصوته موالاً لـ "سيد علي أصغري كوردستاني"*
ذاك الرجل
كان اسمه ديلان
ديلان
صوت سماء ناصعة
جناحا نغم جليل
يتعالى إلى الله
مقامه في هيئة قمة

وانحدار جبل.
مقامه غسقٌ يعبره صف طيور مهاجرة.
ترقط الثلج بظلالها
نقطة... نقطة
بصَفقها الحزين القلق.
مقامه خيال نهر
في السفح يمضي غريباً
وحيداً للبعيد.
يضع على جناحيه
صوت لكاثي
يأخذه، ويأخذه كحلم ليل طويل.

ديلان
يستحيل سحر صوته
جناحاً
يستحيل الهم حول شعره
فراشة.
ديلان
تصمت المدينة
عندما يغني، يتقهقر خرير الماء
وحفيف الهواء
حتى صاحب الصوت الجميل
بذاته
يصغي لصوته البديع.

"صباح خريفي لطيف، تكاد الدنيا تنزع عن جسمها،
لظى الصيف. بين الفينة والأخرى كانت نسائم
منعشة عبرت ثلج "بيره مكرون"
تصل في عجالة. خرج ديلان من البيت مرتدياً بذلة
زيتونية، بربطة عنق حمراء نازلة حتى صرته
شعره يبرق منسدلاً، ودم الشبوبية يتأجج في جسده
تفوح من أمام بيته، رائحة تراب رُش بالماء
يستنشقها بعمق، زوبعة صغيرة كمنارة صعدت للسماء
حملتْ معها، القش والخث والأوراق
ومِزَق الجرائد، لفها كأنه يضعها في جعبتها
وأخذها إلى الشرفة التي تواجهنا
أخرج ديلان من الجيب الخلفي لبنطاله
منديلاً أبيض. مسح به رقبته وجبينه
نزل بترو نحو الأسفل.
في عطفة الزقاق
كخبر مباغت
أو كمشهد فلم يستحيل تصوره
أول شخص التقى به

كانت امرأة ناعمة فاتنة
كان اسمها قبل عام على كل لسان
تسمرَّ أمام المشهد المباغت
كأنما التقى بحادث مؤسف
إنكمش قلبه كبرتقالة هشة
تصبب عرقاً بارداً
أحس بأن زوبعة صغيرة
كزوبعة الخرابة هبت من أعماقه.

مرة أخرى أخرج منديلاً ومسح عنقه، وعينيه
رددّ لنفسه: نازنين.... نازنين محمد قرداغ
أي صدفة مؤلمة هذه...؟
وصل إلى دكان السيد علي فوتاو
عبره دون أن يتوقف، أويطل عليه
ابتلعته دوامة اسم نازنين
كان مأخوذاً بالصدفة
فلم يسلك طريق المدينة
واتجه نحو "سيوان"
كان مشدوهاً.
أفكاره خلية نحل
وما أن يُذكر اسم نازنين
حتى تثار ذكرياته
وتئزُّ في دورانها.
بعض الناس فرادة على "سيوان"
وفي التل الآخر
يتعالى كالقنيس*
حرقة العهد في نحيب امرأة
بعد هنيهة، أصمَّ أمل قلبه
تصلبت أرجواناته
تخثر صمت شواهد القبور في الجهات كلها.

بدون أن يعرف لماذا
رفع رأسه إلى لسماء
أغسام بيضاء نقشت في هيئة طيرين
استطالا في الأفق الشاسع
تأبطت تحت أجنحتها نظرة ديلان.
كان يحدث نفسه:
قبل عام حدثت كارثة
هزت المدينة كزلزال
نازنين لم تكبر فحسب
وإنما ازدادت فتنة.

قرأ على بعض الشواهد شعراً

فكر لوهلة بعبثية الحياة
قال لنفسه: فقط النهاية بلا معنى.
تلكأ في مشيته،
كأنما أقدامه ليست لجسده،
كانت خطوات الحيرة تتصاعد.
أحياناً، يكون شعور ولا شعور الإنسان عيناً
تأخذه للمكان الذي لم يخطط له.
اسم
ذكرى
تصبح سرّ تلك الحركة.

هكذا..
كالظروف النفسية للشاعر أو للكاتب
آناء الكتابة
تأخذه عباراته بعفوية إلى الجهة التي لم يفكر بها
بأي شكل.
فجأة، وصل إلى مستوى شجرتي أرجوان متشابكة.
في ظلهما قبر معمر بلون أبيض هادىء.
توقف هناك ديلان
تأمل القبر للحظات
واقتعد الحافة
طأطأ برأسه، وأخذ نفَساً عميقاً
في استمرار نحيب المرأة.
"كانا صغيرين من الحي ذاته، في العمر ذاته
وفي نفس اليوم، قبلا في الصف ذاته.
"ثرور النرجس" كان منذ طفولته هادئاً، خجولًا
فتى أشقر بشعر أسود وعينين جاحظتين،
شاب جذل بأمانيه. إما في يده وردة، أو زهرة في عروة جاكيته.
كان أكثر أصدقاءه رقة. أحياناً، يستاء من كلام بلا معنى.
مرات عدة غضب من نكات ديلان واختفى.
ديلان بلا حيلة، كان يذهب إليه، مقبلاً وجنيته، مصالحاً
ومطمئناً.

لم يكن شاعراً أو كاتباً أو فناناً.
لكن روح هؤلاء جميعهم كانت فيه.

مرات عدة، في ليالٍ مقمرة،
كان يلح على ديلان الذهاب إلى أطراف المدينة،
في الصمت، كانا يحدقان في طلعة القمر وضوئه الفضي،
كان يقول: "أي وقت أحلى من رؤية القمر في هذا السكون؟،
بعدها، الإرتواء من صوت ديلان"،
كان ثرور بعيدا عن السياسة والعمل الحزبي
قال لمرات عدة: "السياسة عالم مقفر، أغلبها خدع وأحابيل

كما إنني لا أصدقهم كثيراً
وأشك بهم دائماً".
كان ديلان منخرطاً في العمل السياسي
قُبض عليه، وأرسلوه إلى جنوب العراق،
بعدها بإسبوع، امتلك ثرور إحساس بالوحدة والفراغ
الجلي الذي خلفه ديلان بغيابه".

صرخة حادة أعادة لديلان رشده
ونحيب المرأة في التل الآخر
يثقل الخريف هماً.
نهض، نفض قفاه بيده
وعاد للأسفل بالرغبة ذاتها
قال في نفسه: عندما أفرجوا عني
كان ثرور نحيفاً، شاحباً
العاشق كالقش، تحرقه الشمس اللاهبة
كان ثرور النرجس، متيماً بنازنين
كان ساردا في الفترة الأخيرة
مهموماً كأنما ضربه الماء*
(مثل كوردي يستخدم للدلالة على الضعف و الخمول)

ليال كثيرة، لاحظته، يتسكع أمام بيتها
ونازنين، هي أيضاً كانت قد وعدته بأنها ستكون له وحده.
لكن، كلا..
كانت تخاتله بهذا الكلام.
طلب يد نازنين، فهاجم والد وأخوة نازنين بيت ثرور
لم يمضِ شهر، حتى تقدم ليدها شاب ثري
فتزوجته.
من حينها بات ثرور ثلجاً، كل يوم
تذّوبُ الشمسُ شيئاً منه.

ذهبتُ إليه مرة، حدثته قليلاً لأشدَّ من عزمه، لكنه
قال: "رجاءاً، اتركنا من هذا الحديث
إنه موضوع خاص بي".
كهذا الفصل قبل عام
في مساءٍ تلاشت أجنحة الشمس
بين أغسام الأفق
انحنت غيمتان
ذابتا على المدنية.
حينها
في غرفة صغيرة
سُمع صوت طلق رصاص
عبَرَ الصوت بيتاً بيتاً
زقاقاً زقاقاً

شارعاً شارعاً.
سال من جسد العاشق دمٌ
على الكرسي
ومن الكرسي سال في الغرفة نزفٌ؛
وصل ديلان إلى دكان علي فوتاو
جلس على الكرسي وسرد لصديقه
حكاية هذا الصباح، وصدفة نازنين المباغتة
ذهابه لسيوان
وكل ما يعتصر في قلبه
والذي كان يصغي بدقة لديلان
مع علي فوتاو....
الكرسي الذي تحته.

الكرسي: نعم هكذا.
كنتُ أصغي بدقة،
وبعدها، عندما بقيتُ وحيداً
بكيتُ بحرقة،
كرسي المقدمة: أستغرب، كيف لم يبكِ الحجرُ، وقد أصغى له؟.
كرسي السنندجي: دعكم من ذلك، لدي سؤال أود أن اسألك إياه منذ مدة.
الكرسي: تفضل ياعزيزي.
الكرسي السنندجي: بين هنا وهناك، ألم يقتعدكَ رجل سيء..؟
الكرسي: بدون شك.. بدون شك،
بطول عمر أخشابي
وطول عمر ترقبي
في كل مكان عشت فيه
أسوأ لحظاتي
تلك التي جلس فيها البعض علي
وأراد أن ينحر الحب
كنت أنكمش كعشبة
كفراشة
كنملة
أو أكبر كأماني الإنسان.

قبل سنوات، في مساء ما
كنت أصغي لقلب رجل اقتعدني،
كان يفكر بطريقة يشعل بها
في الغد
نزاعاً بين سواقي البستانين
حرباً بين ورودهما وأشجارهما.
مرة اخرى.
كنت أصغي لعقل رجل
يفكر بأنانية
كيف وحده... وحده فقط

يكون باب البيت ومفتاحه
ويكون البيت أيضاً.

شخص آخر في إحدى الظهيرات،
قرر علي أن يلقم انتقاماً "بربيلياً"*
ـ به ره بيلي ـ ماركة مسدس.
خرج بلعنة ال،له
ليغسل أمام القرآن شرفه
بشهادة منارة
في حوزة الجامع
فيهنأ بالنوم.

كرسي المقدمة: رجاءاً، احتفظوا بأسئلتكم حتى النهاية،
فليكمل الحكاية. حسناً، إلى متى بقيت في دكان فوتاو..؟
الكرسي: عندما أصبحنا في الصيف
غيَّر الدكان كل ثيابه وتغطى برداء جديد
صبغت الجدران بالأبيض
غسلت الرفوف
وسدت حفر الفئران
منح فوتاو كل أشياءَه القديمة
ومن بينها أنا، لكاتب عرائض من معارفه،
جاء في اليوم التالي
رجل نحيف محبوب، مبتسماً
إلى الدكان
جلس علي قليلا
بعدها وضعني على كتفيه حتى ساحة
"سرا"*
وضعني على طاولة مهلهلة.
ضرب على ظهري ممازحاً
آنذاك جلس علي، وأخذ نَفَساً،
آلة كاتبة عتيقة بذراع مكسورة
صف طوابع ملتصقة، أربعة.. أربعة
أوراق خورشيدية كثيرة
محبرة للإبصام
قلم ودبابيس، نظارة وورق كربون
لفيفة تبغ
منفضة
كلها أمامه.

طوال النهار، كانت أصابعه كمنقار ديك
مأخوذة بالطقطقة
كنت ألاحظه
من كل أربع كلمات

كان عنق كلمتين ينكسر.

كانت تلك الفترة ملآى بالأنفاس الدافئة والباردة
بتجارب مرة وحلوة
بالدموع والإبتسامات
الناس البسطاء
المعذبون بأسمالهم
شقاء القرويين
تشتتُ المشردين
عصفُ الأرامل
حرقة العاطلين عن العمل.
كانوا يأتون، يجلسون القرفساء
تكتظ الطرق والممرات
بشكواهم،
وينساب من الشِبكَةِ
قهرهم
وهو بطقطقة المنقار يجعلها كلماتٍ
وجملاً وعباراتٍ
بشفقة ورحمة
وحزمة هموم قلبه
كان يؤلف كأنما اللغة
محض سوء.

عندما كان كاتب عرائضي، ينهض
وسراً تسد بابها
كان يضعني مقلوباً على ظهر الطاولة
ويسترنا بالمشمع حتى عودته صباحاً.

في البدء لم يتقبلونني
لكن بعدها تعرفت على الحروف
واحدة بعد أخرى.
تلك الحروف
حدثتني بلطف من ألف بائها
علمتني كلمة كل ليلة
أحفظها جيداً.

عرفتني على
حرف الألف
وحرف آخر رأسه دائري،
فكتبت الماء
عرفتني في ليلة أخرى على حرفين آخرين،
أحدهما كأنه بطة في ساقية
والآخر كأنه نقيفة وجهه في ذاك الطرف

فكتبت الحرية.
قالو في ليلة ما: هذا (ج)، وهذا (ز)
وهذا (ذ)،
هكذا، وبعد أشهر عدة
أحسست بانني لستُ ذاك الكرسي الذي ألفته سابقاً،
مترع بالعيون، بالآذان
بالفكر والفطنة.
هكذا شرعت بالكتابة
للشجر وللمطر
للروابي وللطيور
كل ما أردته.

ليلة إثر أخرى
كنت كلبلاب أتسلق نافذة الكلمات
أبحث عن الجديد
كنت أنمو حتى تمكنت من قراءة
شعر "قانع"*
وحفظه.

الحديث يجر الحديث
أنا نفسي كنت قد رأيته قبل ذلك،
صَدَف أن جلس علي هنا ثمان أو تسع مرات،
كرغيف محمص، هو "قانع"،
كالسمسم والزبدة والـ "دوينه"*
(أكلة كردية)
كرياحين الماء، هو "قانع"،
يدخل المدينة
فتراه في كل مكان مرَّ به
أوز في سواقي الطواحين
أخيلُ في الرياض
مدفئة حطب في جامع
تين ودبس مجفف في المنازل
صعوة في المزارع.

أتذكر جيداً
كان هنا
ظهيرة يوم ربيعي
دخل وفي يده "لواشه"* ساخنة
جلس عليَّ،
حضر لبن مخيض،
ثم تفرغ (ربما تقصد إستفرغ).
أخرج من جعبته ورقاً، وشرع بالكتابة
لم يخرج، حتى أنهى شعره علي.

أتذكر جيداً
كتب ذاك الشعر للخريف.

أعتقد بأنني انحرفت عن موضوعي.
لأعود إلى ساحة "سرا"،
لا أذكر جيداً، كان يقال لمالكي "نوري كاتب العرائض"
نسيت اسم والده
رجل يمكن هضمه مع السم.*
(مثل كردي يستخدم للدلالة على خفة الدم و المحبة)

كان يقدرني ويقدر الشجر والطبيعة
الأقلام والأوراق والفقراء،
كما أنه كان مقدس للجبل
كان ينوي صلاته للماء وللحجر
للشجر وللتراب
ودائماً كان يقول لأصدقائه المقربين: "حسناً، لو لم تمدَّ الجبال
يدها لأيدينا، لكنّا كالسهول بلا أذرع
إلى أين كنا سمنضي..؟".
ـ يوم سعيد أخي العزيز نوري كاتب العرائض.
ـ يوم سعيد.
ـ جلبتُ لك بياض حزن شجرة تفاح أنثى
ملعونة في حضن حقل قاسٍ
أتستطيع بتعابيرك
أن تسطر ماهو أبلغ من حرقة جسدي،
ماالذي ستكتبه أكثر من تمزقي علي..؟
لترقق قلب الإله الذكر
التاريخ الذكر
الرسول الذكر.
أخي نوري كاتب العرائض
يوم سعيد
أنا وجع أنثى هاربة من الوطن الهَلوف
لمن ستأخذ شكوايَ..؟
ماتستطيع فعله لي..؟
لأية سماء لا ذكر فيها
ستحيل صراخي..؟
لأغني للحظات
أغنية أنوثتي المنثلة،
إن لم يحدث شيء
سأمشي في الشارع الجديد لدمي
أخي نوري كاتب العرائض
ماالذي ستكتبه لي..؟
أتيتك بعذابي الندي
في أي مكان تكوِّنه

تفوح منه نتانة أنوثتي
لكن، هذه الرائحة لا يشمها
إلا الأنوف التي تعلم بألم السنابل
تلّوي البساتين في الليل
أولئك المنغمسون في الشعر حتى عيونهم
ويهطلون مطراً.
ماالذي ستكتبه لي..؟
أكثر شفافية من شَعري
أكثر جلاءاً من الغدر المنثور في جسدي
أنا امرأة في عجاج الذكورة،
سقطت من غصني
أخذني للبعيد
لرمس النسيان.
أنا امرأة من صرخة البكم
من رؤى الكفيف
من ولادة العاقر
من رياض الموتى
من أفق اللهاث
من طريق لا سبيل له
ومن المطر الجاف.

أنا امرأة، أو أجاصة جميلة
تتقضقض بين كفي رجل،
فأكتب الألم بليغاً،
فصاحة الألم في الجروح المدماة،
للرجال أكتب عريضة..
للسماء...
للمحيطات...
للجبال...
للعالم كله
أكتب الكذبة الكبرى،
من آدم حتى اليوم
في رسائلهم سميت العدالة...
رجولة.!!؟.

راح دكان... جاء دكان
راح كرسي... جاء كرسي
وبعدها جاء صيف
لم يغادر أبداً.

صباح صيف، زائغ العين
سمعت نفيراً
بعد النفير ذاك،

حشرجة الغرفة
اختنق الشارع
شُلّ الزقاق،
خودٌ حديدٌ اقتحمت الشوارع والبيوت بالحراب،
اقتحموا جعبة المدينة
أقفلوا المحكمة
نوري، لم يأت ككل يوم
يشيل الغطاء عنا.

يجلس عليَّ، ويشرع بالطقطقة،
لم يأتِ أحد إلينا،
بعد أيام عدة
بعون ريح تائهة،
صدف بمحمية جيش
فغير لسانه عربياً،
بعد نجاته جاء إلي
آنذاك، أدركت ما حدث.

قالت الريح: إعلم بأن كاتب عرائضكم لن يأتيَ مرة أخرى،
قلنا: لماذا..؟
قال: جنود الموت، أوقفوا أصحاب الرأي
قيل له: تعال وابصق على هذا الزجاج الأحمر،
على الجبال،
بعدها عد إلى البيت،
أدار كاتب العرائض وجهه لجندي الموت،
وقال لهم: معي بصقة وحيدة، وهي لوجهك
ووجه الطاعون البعثي... لن أعود للبيت.

بعد ذلك قضينا لياليَ ذاك الصيف الأرمل،
غاطسين في الغبار،
طلع صفٌ متلألىءٌ.
لم يظهروا حتى ذلك الوقت.
نزلت اللآلىء حتى اقتربت من الأسقف،
جاءت من أسقف البيوت
لقربها، كان الأطفال
يقفزون ليمسكوا بأردانها الحمراء
وشعرها الأشعث،
كانوا يعلقون أنفسهم بأكتافها وأعناقها المدماة،
وشعاعها الأصفر.

صف غيوم..
ثلاثة منها في هيئة ثلاثين كرة
ثلاثة منها في هيئة قلم

والبعض الآخر كحصان وثور.
تدحرج الكرات نحو الملعب،
تذهب الأقلام لصفوف المدارس،
يتجه الحصان والثور
نحو الأحياء وفناء المنازل
إحدى الغيمات على هيئة صفحة
تصعد عالياً
لتأخذ عريضة إلى الله.

هكذا جاء يوم وراح،
لكن حزيران لم يغادر أبداً
تلك الأيام..
حيث رائحة الدم تلفُ شوارع المدينة،
الطاعونيون كانوا فرادى وجماعات
يلتقون في المفترقات والزوايا
في الساحات والأزقة.

في أحد الصباحات..
في الساعة الحادية عشرة
عصف ضابط وشرطي بغضب،
حملا المشمَّع عنا
أنزلونا، أخذ الضابطُ الطابعة في حضنه،
والشرطي لقفني للحمال.
وقال: خذه للسوق، لذاك المكان الذي أخبرتك عنه.

كانت لحظة مؤلمة، حين افترقتُ عن معلمي الطابعة،
كانت آخر مرة أراه،
حيّاني بذراعه المكسورة،
فأومأت له برأسي.
قلت لنفسي: لن أراه، ثانيةً،
ذاك الذي علمني النور في الليالي الطويلة
وأرشدني لسبيل الضوء.

مضينا.. وأنا على كتف الحمال
في شارع "مولوي"،
آن رأيت ثلاثة من أصدقائي القدامى،
وعرفتهم أمام مطبعة "إمام صالح"،
يجلس عليهم ثلاثة شبان أنيقين
استعدت غلواء شبابي وبريق عيني،
"قادر ديلان"، و"فريدون علي أمين" و"أنور أدهم"،
وصلنا للمزاد وسط السوق
وضعني الحمال أمام دكان عجوز مسكين،
وُضعت إلى جانب مدفأة بلهاء

مقببة، ثرثارة
بعدها تعرفنا، قالت لي:
ـ إن كانت أخشابك صالحة، لن تبقى هنا كثيراً
الكرسي لا يحتار أبداً، فجميع الفصول له.
نحن التعساء، إن توجه الصيف إلينا... أساساً لم يأتِ الشتاء هذه السنة.
قبل غد أتوا بكرسيين، لم يمض يوم حتى أخذوه مع أغراض أخرى
لمقهى في "بازيان".*
(منطقة قريبة من السليمانية)
الكرسي: لاأحب الذهاب إلى خارج المدينة
ولكن من يكترث بما نحب.
ـ لتعلمَ، قبل شهر جاؤوا بكرسي مثلك تماما
بقامته ووجهه.
أتعلم؟
أخذوه إلى مشرحة... أي نعم. إذاً، خارج المدينة
سيء أم قاعة المشرحة...؟
ـ ماذا..؟ أتنوي إخافتي..؟
ـ لا أخيفك.... لكن أريد إخبارك بأنه يوجد السيء والأسوأ... أليس كذلك..؟
ـ لا أعلم ما سأقوله، أرجو ألا نصبح في أيامنا الأخيرة محل سخرية غاسل
وحارس الموتى
والسوَّاس.

جاء مزاد وراح مزاد.
أتتِ الشيخوخة، وراحت الصبوة،
و أنا بين كومة خردة
وجدت نفسي أنتظر مصيري
في سوق ناءٍ،
لكني أنوي التوقف هنا.
وأعود القهقري
إلى الحادثة أمام باب "سرا".

كرسي المقدمة: عفواً قطعتُ حديثك، أين كنتَ في حادثة "سرا"..؟
الكرسي: كنت هنا، لماذا..؟
كرسي المقدمة: لأنه كان يجب أن تبدأ من هناك.
الكرسي: ليس شرطاً، من هذه اللحظة أعود لتلك.
كما قلت لكم سابقاً، كنتُ هنا للمرة الثانية.
في المرة الأولى كنتُ فتياً، بعد السادس من أيلول الأسود،
انقضوا علينا هنا، وقُبض عليَّ مع النادل.
أعطوني مجاناً لبائع خردة، وبائع الخردة باعني لدلال في السوق.

وهكذا كما سمعتم سيرة حياتي،
أعتقد مالكي بأنني انتهيتُ،
هو أيضا مثلي من "هورامان"،
استقصى عني كثيراً، لكنه لم يجدني،

فراقنا كان طويلاً... طويلاً جداً،
إلى أن وصلت إلى المزاد، قرب المدفأة الثرثارة.
صدف أن وجدني "جايجيّ"* السابق (بائع الشاي أفضل من لهجة الكوجكات خالو)
(كما تلفظ في اللهجة العراقية)
عرفني، فاشتراني وجلبني إلى هنا.

كرسي المقدمة: جعلتَ من البداية نهاية.
كرسي آخر: دعه يكمل الحكاية.
(يبدأ الكرسي في سرد ذكرياته):
ـ كما قلتُ، حينها كنت في غلواء شبابي، لم أكن أخشى، لا المنشار ولا المسمار،
ولا حتى النار، كنت حديث القدوم إلى المدينة.

هنا
فقط مضتْ أيام خمسة،
حتى أمسك أيلول بقامة السنة،
من أيلول تفوح رائحة قرنفل "وه يس"*
(مزار في جنوب السليمانية ، كان حينها مكانا للتنزه)
وعطر "نالي"
وعريشة بيت "صائب".
كانت الأحياء
أساور زجاج في يد السليمانية
وكان العالم صغيراً.

فقط خمسة أيام مضت من أيلول،
في سفح ذلك العام
تدحرج لمروج اليهود
بريح "كاني باوه" كل شيء
حتى غزلان "كانيسكان"*
(حي في السليمانية)
تخضلت بأغاني وصوت "رشول"*
بمطر ذاك المقام
في الدلف المخضر.

صاروا قناديل مضيئة
في ليالي المدينة
يتكاثر في الشوارع والسوق
همس محمر،
جناح همسة تكبر لحظة إثر لحظة
تأخذها الريح
ويتسع حفيف الخبر بحدة
إلى أن كانت الريح تعود.

للمرة الأولى..

ينحدر من الكهف استجداء
ومن الجبل تصل أحصنة بحرية
على الشارع
صوت مفوض كتيبة المدينة.
السادس من أيلول.
كمرآة تهشمت سماء المدينة
وتفتت
في الشارع المقابل، مضرجة بالدماء
إلتهب أتون "سرا" جحيماً
والسرية صارت سرية موت.

دخل الدخان عيني الله
كان دوي وأزيز.

قتلت الأسئلة كما الأطفال،
قتل الحلم كالشعر
سقطت على الماء غشاوة
أعمت النوافذ
أصمَّتِ الأبواب.
اضطربت الأشجار من طرف لآخر، وفرَّت.
ذاك الخريف في "سرا".
صار الصياح إعصاراً أزرقَ
والدموع أوراقاً.
نحروا الأوراق
فصارتْ قناديلَ.
دوي وأزيز...

رأيتُ هنا
بعض الفراشات الفارَّة
من عجاج الحكومة،
بضعة أشعار "بيكه س" وبضعة مقامات "ره شول"
وبعض أخشاب "سعيد النجار"
دخلتْ هذا الممر
رأيتُ بنفسي
الفراشات كلمات
والمقامات سواقي
الأشعار طيوراً
الأخشاب عُصياً
لعلم الشمس
ذاك اليوم
حط عليَّ الغمُّ.

أترعتُ بالضباب
كنتُ وجعاً ذاك اليوم،
وكانت الشفرة علي.
كنت أحترق ذاك اليوم
والنار اقتعدت علي.
ذاك اليوم..
عندما حل المساء
وبدلاً من الغسق
جاءت مياه حمراء
غطت الـ جايجي ، الموقد والسماور
الكأس وصحنه
غطتنا كلنا.

ذاك اليوم..
غُربل صراخ المدينة
سقط من أصابع الصباح الضوء
وعصفت الريح بطلائعه.
لكنك لم تعلم أنه في الوقت ذاته
كان تحت جسد الخريف وأحزان الطبيعة
رضيع
كغبار طلع الأقحوان، ينمو.
كان صراخ مستقبلنا يسمع في الطرف الآخر
لم أصبح على لسان الجبل استجداءاً
كنت ثغر شباك الكتب
واستجدائي شارع المدينة الطويل.

ماالذي لم أره..؟
كم جيلاً من الكراسي المختلفة ودَّعتها،
وبقيت وحيداً؟.
كم باب خائن، وكم طاولة مرتشية
ومنفضة مماذقة..؟
كم ناي عاشق..؟
أسرَّة خشب تجهل الوجع،
كم كمنجات عاشقة..؟
وأقلام بلا مأوى.
عكازاً أعرفه من بعيد
ذاك العكاز
أخذ صاحبه للحافة
منسحباً من تحت يده
ليسقط في الهاوية.

رأيت نوافذ مع اللص شركاء
ورف وَشَى بكتبه

مرة، مدّ إطار لوحة يده
رغث ألوانه
وأشجار تضرم النار في مهدها
لكني وجدت أشجاراً أخرى
في عشبة ظليلة
وعلى حق بادرة (لم أفهم معنى هذه الجملة خالو)
نازعت الفأس حتى ماتت منتصبة،
رأيت مذراة على حقة عدة سنبلات،
غرز في صدر المزرعة أصابعها.

لم أرَ بنفسي
لكنهم قالوا: كان جسراً
عليه إناء تهشم ظهره
عابر سبيل
تأوه متماسكاً بأوجاعه
لم يسقط حتى عبر
العابرون.
وأكثر الكراسي بسالة
وأندرها عدداً
المتجاسرة على السؤال.

المتشككون
الرافضون لكل أشكال القضاء
بينهم من إنبرى مباشرة للنجار الإله.

لم أر بنفسي
لكنهم يسردون:
لأنهم أجبروا عبداً ليكون عماد المعسكر الكبير
سحب بدعم عارضة
كتفه من تحت البناء
منتحراً في تقويض المعسكر.

كان لي كرسي صديق
أسمر "كركوكي"،
إبن شجرة ليمون
من "الشورجة"*
(حي في كركوك)
في خده الأيمن شامة واحة تمر
زنده أكثر سماكة من عنقه.
أقدامه صلبة
ودون أن يترنح
حمل على كتفه كيسيْ ملح.
يوما، لقف نائب ضابط داكن السمرة

ديناراً لجايجينا
وبعدها فقدنا الكرسي
لم أره لسنوات.

كان حين رأيته
شاحباً، نحيفاً، يلهث
بالكاد يقوى أن يحضن طفلاً.
قبلته متسائلاً:
ماالذي جرى لك..؟ أين أخذك نائب الضابط..؟
قال: دعني وشأني، لا تعلم ماالذي حصل لي. ثم حكى
كيف وضعوه في غرفة معتمة رطبة
جعلوه للمعتقلين، كرسي تعذيب
كان يسرد أشياء
يطرقس المرء منها.
كان يقول: أتتْ أيام ، تضرجت أقدامي بالدم
وأيام أخرى،
لُفَّ جسدي كله بأسلاك كهرباء،
وكثيرا ماكانوا
يتركون المكواة الحارقة على ظهري.
كان يقول: جلس سجين نحيف عليَّ،
صغير
مع ذلك، لاالكي، والكهرباء
لاالقناني ولا قطع أحشائه الجائعة
ولا المطرقة
ما استطاعت أن تخرج من أعماقه
اسماً.

رأيت من هم ضخام في أشكالهم،
خصورهم كشجرة صمغ
وكقامة خالي التوت
قبل أن يجلسوا علي
ما إن رأوا المكواة،
حتى ارتهكت رُكبهم
وانساب كل ما لديهم.
بعدها كانوا يوشوش لي: رجاءاً دع الأمر بيننا.
نتفوا صديق "حيدري"،
وجدته حتى فرموه
يضحك.

كرسي المقدمة: لقد حدثتنا فقط عن الكراسي الكورد. ألم تذهب
عند ملل أخرى؟.
الكرسي: للأسف لم أذهب إلى تلك الأماكن.
لكن مرة جاء كرسي إلى هنا.

لم يكن بأناقته وطلعته يشبه كراسينا الكورد.
فأغلبنا قاماتنا قصيرة
وهو كان طويلاً، شعره أصفر.
مع عشرين سماور، من صناعة "وارسو"،
وصلوا على ظهر بارجة من بحر قزوين إلى إيران،
ومن إيران إلى هنا.
كان مخططاً أن يصل بيت الشهبندر
لكنه أضاع الطريق،
كما قلت، حتى وجده حراس الشهبندر
في هذا المقهى الصغير
أمسكوا بقبة الجايجي
وبعدها أخذوه عنوة.

كرسي المقدمة: كيف كنتم تتفاهمون..؟
الكرسي: كلانا كان يعرف القليل من الفارسية.
لكنه كان متعلماً يجيد لغات عدة. وكذلك كان قد أنهى في جامعة وارسو،
ـ قسم علم الغابات والكراسي ـ،
لأول مرة عرفت بلغته أسماء بضعة كراسٍ
مشهورة في العالم.

ككرسي نابليون المتغطرس.
وكرسي تشيخوف المقتول بالسل.
أو كرسي الروائي المقامر، مؤلف الجريمة والعقاب.
أو أريكة بوشكين المغدورة.
أو كرسي العجوز الذي فارقت روحه أخيراً،
في محطة قطار،
وحيداً... تائهاً.
أو كرسي الشاعر العظيم
الذي بتر المشردون قدميه في الحبشة.
أو كرسي موباسان المجنون.
أو كرسي مدام بوفاري الذي أخذوه للمحكمة عنوة،
مرات ومرات أخرى كثيرة.

كرسي المقدمة: أتعتقد بأن كراسي العالم تعلم بأمر الكراسي الناطقة بالكوردية..؟
الكرسي: كلهم لا؛ لكن الكراسي الإنسانية تعرف ذلك جيداً، لمَ لا؟.
ألم يكن الكرسي المنغولي يريد ان يأخذ
لعصبة الأمم موضوع أشجارنا وأخشابنا..؟
كرسي المقدمة: نعم، لكنه ندم في اللحظة الأخيرة.
الكرسي: نعم، أجبرته السلطة على الندم.
حسناً.
والكرسي المعتمر "سيدارة" بيضاء... "نهرو"،
وكرسي "إسماعيل بيشكجي" التركي،
والكرسي الليبي، صاحب العباءة،

وكرسي الأنثى الفرنسية،
وكراس أخرى،
هنا وهناك.
كرسي المقدمة: شكراً.. في الواقع أتعبناك.

كم جيل كرسي مختلف ودعت،
وبقيت وحيداً..؟
من، وماالذي لم أره..؟
مرات عدة، رأيت "رفيق حلمي"،
لم يكن يحب المقاهي
لم يكن يجلس..
لكنه عندما كان يرغب في رؤية صديق
أو أحد معارفه، كنا نراه عند الباب
كان يراهم عند بابنا،
هنا كانوا يلتقون.
حينها رأيت في ذاك الطرف
"حمدي" لم أجد بأناقته أحداً،
أتصدقون أن "شيخ محمود الحفيد" وجل من شعره..؟؟
أتذكر "سلام"
عندما جلس في الصباح علي
مترجماً إلى الكوردية
مقاطع من رباعيات الخيام.
سرد أمامي الـ "خال رجب"، نكتة
فضحك باب المقهى.

جلس علي مرة "إبراهيم أحمد"،
كاتباً رسالة لـ "سجَّادي"*
أتذكر "كيُّو"* قادماً منهكاً من "هولير"
والكاميرا على كتفه
كان يسأل عن صاحبي الجايجي.
"بختيار زيور" أيضاً
ترك علي سيدارته.
"محمود جودت" نام في ظهيرة علي
أفزعه سقوط سيجارته في حضنه.
احتراق صرته.
حينها كانوا يضعونني في المقدمة.
مرة شاب فتي
كديك بعرف أسود وعينين زرقاوين
جلس علي، وتكلم بلباقة،
جذبنا بسحر صوته
كالمغناطيس،
لم أكن قد رأيته قبل ذلك،
سكت الجميع آناء خطابه

أصغوا مشدوهين.
سألت الكرسي الذي على يميني:
ـ من يكن هذا..؟
قال: عجباً، كيف لا تعرفه، إنه "رفيق جالاك".
أردف قائلاً: أتذكر جيداً، عندما أخذني إلى مدرسة "غازي"،
نبت على المسرح
شقائق نعمان.

ظهيرة يوم آخر..
لدقائق نفذ صبر أخشابي،
كادوا أن يتمردوا على المسمار
ويهربوا.
لدقائق، بردائه، جلسعلي "سالار" المجنون
وفي قبضته حجر، لكنه نهض فجأة
وذهب دون أن يكمل شرب شايه.

هكذا راح كرسي، وجاء كرسي.
راح مجنون، وجاء مجنون.

مرة أخرى، لاأتذكر إن كان هنا
أم في وسط السوق..
مساءاً
رجل مسكين، ملطخٌ بالأصباغ
جاء، وجلس علي بفرشاته
ضرب بفرشاته على ظهري
فتغير لوني من الجهتين.
شرع بالحديث
كان قد جاء من حمام "سور تا و"
فأدركت بأنه رسام، واسمه "حسن فلاح"،
يوم آخر، ترع قلبي
حاولت أن أتماسك، لكني لم أفلح
فأجهشت بالبكاء.
أنا كرسي عاطفي
حينما أغدو وحيداً بلا أحد
أندب حظي.
كأنما يطهر ذاك البكاء
أعماقي.

أعود إلى حديثي، ذاك اليوم بكيتُ كثيراً.
بعد موت "كوران"*. جاء "هيوا"*
فجلس عليَّ..
و"بيكه س"، على الطرف الآخر
يقرأ أشعار "هيوا"،

لم أبكِ بمفردي، بل الكراسي الأخرى،
تخضلت بالدموع
عينا السماور الصفراء،
وعينا إبريق شاي أصفهاني.

توجد كراس ذليلة..
لا تخجل من أي شخص يقعد عليها،
وإن كان جلاداً
بل وحتى تضحك.
يقعد علي أحياناً عشرات الأشخاص،
فلا يتعلق قلبي بهم،
وأحياناً يأتي شخص
فلا أريده أن يفارقني.
صدف أنني انتظرتُ لأيام عدة
أولئك الذين أحبهم،
أحب الفقراء، لأنهم بسطاء لا يتعجرفون
ولا يركلونني في الأسفل
أما الذين يتعبونني كثيراً...
لاعبو الدومينو، لا يبرحونني
بعض المدخنين أيضاً، أسرفوا في الأمر،
قلنا لا بأس، فهو شاعر، لكن "شيركو بيكه س"، أحرق في
جهات عدة ذراعي.
أكثر الأشياء التي قهرني رؤيتها
منظر أولئك المساكين الذين اقتعدوا
واحتاروا في ثمن الشاي.

هكذا جاءت دنيا وراحت دنيا
دارت الأيام ودار الكرسي معها
حتى وصل هذه اللحظة،
حتى استيقظت الأريكة بسعال الكرسي.
(كرسي المقدمة يلتفت نحو الأريكة):
ـ كيف كانت اسطنبول..؟
الأريكة: متعبٌ... متعب، لا تعلم بأنه البارحة جلس رجل ضخم علي، ومعه أكياس سكر!.
الكرسي: ها هو الفجر يهم بإخراج طلائعه الفضية،
من سجف الليل،
و بعد قليل، سيفتح الضوء باطمئنان
نافذة يوم جديد.
لقد سردت ذكرياتي، والليلة القادمة سنصغي لأخينا العزيز
الكرسي السنندجي.
وصيتي هي، إن مت وأنتم هنا
أحرقوني،
ستساعدكم النار الأثيل،
لقد أخبرتها بذلك

آنذاك، انثروا رمادي على كل أرض حبلى ببذور الحياة،
لتنجب أشجاراً ندية
وفي النهاية أشكر اصغاءكم لي.

أنا كاتب هذا النص
في زمن كوليرا البعث
ككل شعر أو قصة أو مسرحية
ونثر
ككل عاشق تائه
كأغانٍ هاربة
كفراشات الخريف
توجهت للجبل، ودرب التبانة
ومنها كطيور مهاجرة
أو غسم وحيد
وصلت أوربا،
سنوات الغربة صارت رفيقة درب
والغربة عنواناً
في البعد ذاك
دائما كان كرسي مقهايّ في البال
أزوره في أحلامي
حلم دام لسنواتٍ.

أنا كاتب هذا النص
آن عدت للمدينة
كان "أمنه سوره كه"*
في يد الرمان
و"أي رقيب"* يتمشى في الممرات سراً،
والدماء في الحامية استحالت قناديلَ،
وصلت عند شجرة الرمان
كان الحلم في الشارع
باخضرار مطر حضنته في شارع "مولوي"،
على تمثال "كاوا"،
أمطرتُ "محرم محمد أمين" قبلاً
أمام الحديقة العامة، اتجه نحوي
"شاكر فتاح"
أعطاني زهرة ياقته، وقال لي:
جاء عبد الخالق من هولير
يسلم ويبحث عنك.
قرب المخفر السابق
اجتمعت آلاف العصافير والسنونوات
أرانب وسناجب والرشا
وبينها "كمال صابر"
ممتطياً صهوة حصان لكاثي ثمل

عينه اليمنى عوراء
يمسك بإحدى يديه رسن الحصان
وبالأخرى ربعية "فل"
يرتشف الربعية أحياناً
ومن ثم يحكي للحشد نكتة إثر نكتة.
وهي كانت تصفق له بأجنحتها
وبمناقيرها وآذانها.
صار الأجيج كرنفال هزل
في "تووى ملك"
ترجل تمثال كاوا الحداد من على قاعدته
ودبك بين الناس
لكنه لم يكن يجيد الدبكة الجديدة.
أمسك بيده "مام ريشه"* ليعلمه الدبكة.

على منارة الجامع الكبير
وجدت كُركياً،
وضع السبَّحة والسجادة جانباً
وأخذ يرقص
بسط جناحيه جيتاراً
عازفاً الموسيقى.

في شارع "صابون كران" قرابة أربعين أنثى من الغربان،
أضرمت ناراً، واحدة تلو أخرى
نزعت العباءة والحجاب والجبة
لقفتها للنار.
بالقرب منها، وقف ثلاثة رجال مبتسمين
معروفين في الحي ذاته،
كانوا يشجعون التصفيق
أحدهم كان يقرأ بصوت غليظ،
قصيدة للشيخ "نوري شيخ صالح" إذ يقول في أحد الأبيات:
"انزعوه، تالله.. ألقوه في التنور، حرام
وضع يوم مشرق في ديجور الليل".
والآخر أيضاً، كتب بخط جميل كبير،
شعراً على يافطة طويلة.
والثالث بعد سرد نكتةعن الملا "دالاشي"
وضع لأكثر الغربان شجاعة في الكرنفال
علامة.
أولئك الرجال هم: الملا نجم الدين صاحب " شتي نوح"*
وخالد زامدار الخطاط، وأستاذ الرياضيات عمر عارف
صاحب القبقاب الأسود.

في حي "كانيسكان"، على النبع الجميل
مَنْ رأيتُ مِنْ بين قطيع التيوس والغزلان..؟

يا إلهي، أيكون هو، نوري محمد علي؟
من ورود الدفلى، ارتدى سروالاً وقفطاناً
ونطاقاً من الكرز،
زهرة بستان في شَعره،
زوج نعل "هوراماني" أحمر في قدميه،
آن حضنته، حطّت علينا آلاف الفراشات،
آه يا نوري العزيز، متسربلاً بالأحمر كأنك ياقوت
من أين، إلى أين نوري الحبيب..؟
قال: من عدمٍ لعدمٍ.
دعك من ذلك، الحمد لله أنني رأيتك
في رأسي سؤال يدور ليل نهار،
صار حزناً أحمر، حلماً أحمر،
يدوي في رأسي.
سؤالي هو: لماذ قتلوني... لماذا... لماذا... لماذا؟؟
كدتُ أقول شيئاً،على حين غرة
صرخ كل غزال وتيس
غدر... غدر... غدر.
ثم التفتت كلها مع نوري
توجهت نحو التلال،
واختفت عن الأبصار.

في شارع "صهولكه " وجدت "ثروت سوز"*
وبعض الطواويس
وببغاء وغزلاناً ملونة، تقيم ورشة عمل
لطلبة مدرسة "ليلى قاسم"
يعلمونها الرسم.
من بعيد أبصرت "سلام الملا صابر"،
يوزع السكر والحلوى في علبة مزركشة
أسفل مسجد "خانقه".

أروني جَديٌّ مسلح
قالوا: هذا الجدي، في خطبة الجمعة الماضية، قال:
"إن كل غبراء أو دجاجة أو حمامة، تصبغ مناقيرها بالأحمر
يعرون أذرعتها وأقدامها
ولاترتدي ألبسة هلباء
ولاتتوشح بالجبة كالديك الرومي
حتماً، كلها كفرة.

الملا الجدي، أفتى في مكبر الصوت،
بهدر دم القمرية واليمامة والبلابل اللواتي
افتتحت صالات حلاقة، وبنت أعشاشها
قرب جرس الكنيسة في حي "كاوران".

ذهبتُ ذاك اليوم إلى المقهى
جلتُ ببصري المكان
رأيتُ كراس جديدة كثيرة
لم أجد كرسيَّ،
بحثتُ، اضطربتُ
قال باب المقهى:
ـ عن أثر من تبحث..؟
قلت: عن كرسي بذاك الشكل وعن أريكة عثمانية.
وكرسي من أهالي سنندج، لا أجدها
قال: يا أخي ماالذي تقوله..؟
في أذن أي ثور كنتَ نائماً؟*
(مثل كوردي ،يرادفه عربيا ، النوم في بطن الحوت ، يستخدم للدلالة على الجهل بأمر ما)
منذ الثمانينات، منح المعلم لصهره من أهالي
منطقة "كفري"
الكرسي وكراس أخرى والأريكة.
للأسف لن تبصرها مرة أخرى.
للأسف هي أيضاً مع العم "ويس" والخالة "خجه"،
والصهر وأغاني "علي مردان"،
وعمامة "خداداد علي"،
وجاكيت "أثيري"،
تم نفيهم بعيداً... للبعيد؛
تم إنفالهم للجنوب.

ممعناً في نقطة سوداء،
للحظات استحالت سنونواً حبيساً،
آنئذ رفعتُ رأسي،
حلق السنونو عالياً
أبصرتُ في سطح سماء ناصعة،
غيمة في سيماء كرسي،
نفسه، الكرسيُّ
وُضع قرب بيت الله،
منتظراً
أن تقعدَ عليه.. أخيراً
الحرية.

للغلاف الأخير خالو

"شيموس هايني"؛ صاحب نوبل، يتحدث في نص شعري له عن كيفية زراعة البطاطا، وعن أثلام الأرض، وتشقق التربة، لتأتيَ بثمرتها الخافية: البطاطا. نصٌّ فصيح بسيط، فاجر، وإيروتيكي.

***

"الكراسي"، كتاب وضع متنه شيركو بيكه س، مركز المتن هو نفسه الشاعر؛ تتألق فيه الذكرى والطبيعة وشخوص كردستان وحيواتها وشعراؤها ومقاهيها، تتألق في المتن الرغبةُ الجنسُ، والأشجارُ،

والتاريخ والمنفى؛ كتابٌ شعرٌ، يُذبح فيه الكورد، وتقوم فيه قيامة الحياة الصخَّابة المعاشة، بين يدي الشاعر، الذي نَجرَ نصّه الشعري، بآفاقٍ، هي آفاق كردستان وتاريخها.

نصٌّ صعبٌ، نصٌّ مفتوحٌ على سيجارة شيركو بيكه س، القلقة:

(قلنا: لابأس، فهو شاعر، لكنْ، "شيركو بيكه س"، أحرقَ فيَّ جهات عدة من ذراعي). يقول الراوي - الكرسي.

توقفتُ عند هذا القلق، في هذا المقطع؛ قلق الشاعر على آفاق الشعر، وهو يسجِّله.

أثلامٌ كثيرةٌ، في هذا النص الشجن.

تاريخٌ، دوَّنه شاعرٌ، لنقرأ هذا التاريخ الذبيح، مدوَّناً، من صحائف شاعر هذه المرة؛ ليكن الشاعر، هو شيركو بيكه س.

محمد عفيف الحسيني.

خالو

حقاً، اشتغلت على النص بمسؤولية

لاأرى من داعٍ، في ذكر إسمي ضمن المراجعة، فأتذكر المدققين في وزارة التربية.

ماأشرت عليه بخط: إما أن الكلمة كانت مكتوبة خطأً طباعياً، أو لم أفهم معناها، أو أنها تحتاج إلى إستبدال.

حرام أن يطبع هذا الكتاب، في السليمانية، طباعة رديئة وتوزيع أردأ، ولامن يقرأ.

حذف الشروحات أهم من وجودها، ليكن القارىء في غموض النص، أفضل من شرح معنى إسم، أو مكان، أو..... رأيي حذف كل النجمات *

أعجبتني الترجمة خالو، حرااااااام طباعة هذا الكتاب في جهة لاتقرأ الكتاب.

سأضم القصيدة إلى أعمال خالو شيركو.